وجاء أبو بكر

خليفة رسول الله ﷺ:

«أبو بكر الصديق» رضي الله عنه

قال رسول الله ﷺ: «ما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة، عدا أبى بكر، فإنه لم يتلعثم.. !!».

الله الرحمن الرحيم، يريد أن يبعث للناس على فترة من الرسل، رسولاً يَرُد الدين إلى جوهره وحقيقته، ويُخرج الحياة الإنسانية من الظلمات إلى النور، ومن التيه إلى الرشد..

ولقد اختار الله رسوله، وهو محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - ونَزَّل الوحى.. وبدأت رحلة القرآن مسيرتها المباركة.

هذا هو الموكب الجليل الذى وُكّلت إليه مُهمة تغيير البشرية، وتجديد ضميرها..!!

محمد.. والوحى.. والقرآن..

ولكن؛ بدا لى كأنها الموكب واقف يترقب..

إنه ينتظر رجلاً له فى الموكب مكانًا شاغرًا، لن يتحرك الموكب حتى يجيء..

وهذا الرجل ليس نبيًّا.. ومع هذا فهو الذى سيُتم دوْر النبى.

وفجأة..

أهلَّت البُشرى..

وأقبل الرجل..

وجاء أبو بكر..!!

جاء الإنسان الذى سيقول للنبى دائمًا، وفى غير تلعثُم أو تردد: صدقت.. صدقت..

جاء الرجل الذى سيزامل النبى فى هجرته، وهو يعلم علم اليقين أن قريشًا ستُجند لمطاردة النبى المُهاجر كل بأسها، وحقدها، وكيدها..

جاء الرجل الذى سيُرد المسلمين – جميع المسلمين- إلى صوابهم يوم ينْعى الناعى إليهم رسولهم..

جاء الرجل الذى سيشكل موقفه «يوم السقيفة» عُمْرًا جديدًا يُكتب للإسلام، ولوحدة المسلمين..

جاء الرجل الذى لولاه أيام الرِّدّة لواجه الإسلام محنة فنائه، واختفائه.

وبعبارة واحدة:

جاء الرجل الذى كان لا بد أن يجيء ليكون مع الرسول، الأداء التى اصطفاها الله ليُغيّر بها العالم، ويُطهّر الدنيا ويقوِّم الحياة.

هذا هو الدور الحقيقى لأبى بكر كما تراءى لى..

وهذه الصفحات، محاولة متواضعة، لتصوير هذا الدور الفريد، والمجيد..

لقد تحدث رسول الله ﷺ عن أبى بكر كثيرًا فيما بعد قال: «ما لأحد عندنا يدّ، إلا وقد كافأناه بها، ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة».

وقال ﷺ: «وما نفعنى مال أحد قط، مثلما نفعنى مال أبى بكر..».

«وما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبْوة عدا أبى بكر، فإنه لم يتلعثم..!!».

ويقول عنه رسول الله ﷺ: «أثبت الناس إيمانًا أبو بكر، لو وضع إيمان الأمة فى كفة وإيمان أبى بكر فى كفة لرجحت كفة أبى بكر، ما سبقكم أبو بكر بصلاة وصيام، ولكن سبقكم بشيء وقر فى قلبه».

- من صفاته الشهيرة قبل الإسلام

أنه لم يسجد لصنم قط، وأنه لم يشرب الخمر قط.. ولما سُئل لمَ لمْ تشرب الخمر؟ قال: «أصون مروءتى وأحفظ عِرْضِي».

لله دُرّ الصديق ﷺ فقد كان يحمل رصيدًا ضخمًا من القيم الرفيعة، والأخلاق الحميدة والسجايا الكريمة فى المجتمع القرشى قبل الإسلام وقد شهد له أهل مكة بتقدمه على غيره فى عالم الأخلاق والقيم والمُثل، ولم يعلم أحد من قريش عاب أبا بكر بعيب، بل كان فى المجتمع الجاهلى شريفًا من أشراف قريش وكان من خيارهم، ويستعينون به فيما نابهم، وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها أحد غيره[1].

* * *

(1) التهذيب (٢/ ١٨٣).

اسمه ونسبه وكنيته وألقابه وصفته وأسرته وحياته

- أولاً: اسمه ونسبه وكنيته

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى التيمي[1]، ويلتقى مع النبى ﷺ فى النسب فى الجد السادس مرة بن كعب[2].

ويكنى بأبى بكر، وهى من البكر وهو الفتى من الإبل.

وهو من قبيلة عظيمة، ولُقب أبو بكر ﷺ، بألقاب عديدة كلها تدل على سمو المكانة، وعلو المنزلة وشرف الحسب.

- ألقابه

١ - العتيق:

لقبه به النبى ﷺ، فقال له: «**أنت عتيقُ الله من النار**» فسمى عتيقًا[3] وفى رواية عائشة رضى الله عنها قالت: دخل أبو بكر الصديق على رسول الله ﷺ، فقال الرسول: «**أبشر فأنت عتيق الله من النار**»[4].

فمن يومئذ سُمى عتيقًا[5]، وقيل: سُمى عتيقًا لجمال وجهه[6] وقيل: لأنه كان قديمًا فى الخير، وقيل: سُمى عتيقًا لعتاقة وجهه، وقيل: إن أم أبى بكر كان لا يعيش لها ولد، فلما ولدته استقبلت به الكعبة وقالت: اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لى.

ولا مانع للجمع بين بعض هذه الأقوال، فأبى بكر، جميل الوجه حسن النسب، صاحب يد سابقة إلى الخير، وهو عتيق الله من النار بفضل بشارة النبى ﷺ له.

---

(1) الإصابة – لابن حجر (١/ ١٤٤، ١٤٥).

(2) سيرة وحياة الصديق – مجدى فتحى السيد ص(٢٧).

(3) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان (١٥/ ٢٨٠)، وإسناده صحيح.

(4) رواه الترمذى رقم (٣٦٧٩) فى المناقب، وصححه الألبانى فى السلسلة.

(5) أصحاب الرسول – محمود المصرى (١/ ٥٩).

(6) المعجم الكبير – للطبرانى (١/ ٥٢).

٢- الصدّيق:

لقب بالصديق لكثرة تصديقه للنبى ﷺ وفى هذا تروى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فتقول: لما أُسرى بالنبى ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعى رجال إلى أبى بكر فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ .. يزعم أن أُسرى به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أو قد قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك فقد صدق.. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصبح؟!! قال: نعم، إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة، فلذلك سُمى أبو بكر الصديق[1].

وفى حديث أنس ﷺ **أنه قال:** أن النبى ﷺ، صعد جبل أُحد، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم أي: اهتز فقال: «**أثبت أُحد، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان**»[2].

وقد أجمعت الأمة على تسميته بالصديق لأنه بادر إلى تصديق الرسول ﷺ، ولازمه الصدق، فلم تقع منه هناة أبدًا[3].

٣- الصاحب:

لقبه به الله عز وجل فى القرآن الكريم: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

عن أنس أن أبا بكر حدثه فقال: قلت للنبى ﷺ وهو فى الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه!! فقال النبى ﷺ: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[4].

٤- التقي:

لقبه به الله عز وجل فى القرآن العظيم فى قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧]

---

(1) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٢، ٦٣) وصححه وأقره الذهبى.

(2) أخرجه البخارى – كتاب فضائل أصحاب النبى – باب فضل أبى بكر (٥/ ١١).

(3) الطبقات الكبرى (٢/ ١٧٢).

(4) البخارى – فضائل الصحابة – (٣٦٥٣).

٥- **الأواه:**

لُقب أبو بكر بالأواه، وهو لقب يدل على الخوف والوجل والخشية من الله تعالى، وقيل: لرأفته ورحمته.

- ثانيًا: أسرته

- والده: هو عثمان بن عامر بن عمرو، ويُكنى **«أبو قُحافة»** أسلم يوم فتح مكة، وأقبل الصديق وأبوه على رسول الله ﷺ، فقال: **«يا أبا بكر هلا تركته حتى نأتيه»**، فقال أبو بكر: هو أولى أن يأتيك يا رسول الله، فأسلم أبو قحافة وبايع رسول الله ﷺ.

- **أمه:** هى سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيّم وكُنيتها أم الخير، أسلمت مبكرًا.

- **الزوجات:** تزوج من أربع نسوة أنجبن له ثلاثة ذكور وثلاث إناث والزوجات هن:

١- **قتيلة:** بنت عبد العزى بن سعد بن جابر بن مالك اختُلف فى إسلامها، وهى والدة عبد الله، وأسماء، وكان أبو بكر طلقها فى الجاهلية.

٢- **أم رومان:** بنت عامر بن عويمر، من بنى كنانة بن خزيمة مات عنها زوجها الحارث بن سخبرة بمكة، فتزوجها أبو بكر، وأسلمت قديمًا، وبايعت، وهاجرت.

وهى والدة عبد الرحمن، وعائشة رضى الله عنها، وتوفيت بالمدينة سنة ستٍّ من الهجرة.

٣- **أسماء:** بنت عُميس بن معبد بن الحارث.

أم عبد الله، من المهاجرات الأوائل، أسلمت قديمًا قبل دخول دار الأرقم، وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبى طالب إلى الحبشة ثم هاجرت معه إلى المدينة، واستشهد زوجها فى يوم مؤتة وبعد ذلك تزوجها الصديق وأنجبت له محمدًا.

٤- **حبيبة:** بنت خارجة بن زيد بن أبى زهير الأنصارية الخزرجية، وهى التى ولدت لأبى بكر أم كلثوم بعد وفاته.

- **أولاده:**

١- **عبد الرحمن بن أبى بكر:**

أسلم يوم الحديبية، وحسن إسلامه، وصحب رسول الله ﷺ، وقد اشتهر بالشجاعة، وله مواقف محمودة ومشهورة بعد إسلامه[1].

---

(1) البداية والنهاية (٦/ ٣٤٦).

٢- عبد الله بن أبى بكر:

صاحب الدور العظيم فى الهجرة، فقد كان يبقى فى النهار بين أهل مكة يسمع أخبارهم، ثم يتسلل فى الليل إلى الغار لينقل هذه الأخبار لرسول الله ﷺ وأبيه، فإذا جاء الصبح عاد إلى مكة.

٣- محمد بن أبى بكر:

أمه أسماء بنت عُميس، ولد عام حجة الوداع، وكان من فتيان قريش، عاش فى حجر على بن أبى طالب، وولاه مصر، وبها قتل[1].

٤- أسماء بنت أبى بكر:

ذات النطاقين، أكبر من السيدة عائشة، سماها رسول الله ﷺ ذات النطاقين؛ لأنها صنعت لرسول الله ﷺ، ولأبيها طعامًا لما هاجرا فلم تجد ما تشده به فشقت نطاقها لتشده به.

وهى زوجة الزبير بن العوام وهاجرت إلى المدينة وهى حامل بعبد الله بن الزبير، فكان أول مولود فى الإسلام بعد الهجرة.

بلغت من العمر مائة سنة، ولم ينكر من عقلها شيء، ولم يسقط لها سن.

وأبناؤها: عبد الله، وعروة، وكانت جوادة منفقة توفيت بمكة سنة ٧٣ هـ[2].

٥- عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها:

الصديقة بنت الصديق تزوجها رسول الله ﷺ، وهى بنت ست سنين، ودخل بها وهى بنت تسع سنين، وهى أعلم النساء بالحلال والحرام.

٦- أم كلثوم بنت أبى بكر:

أمها حبيبة بنت خارجة، ولدتها بعد موت أبى بكر.

- ثالثًا: مولده:

لم يختلف العلماء فى أنه ولد بعد عام الفيل، وإنما اختلفوا فى المدة التى كانت بعد عام الفيل، فبعضهم قال: بثلاث سنين، وبعضهم ذكر بأنه بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وآخرون

---

(1) نسب قريش ص(٢٧٧)، الاستيعاب (٣/ ١٣٦٦).

(2) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٧).

قالوا: بسنتين وأشهر ولم يحددوا عدد الأشهر[1] وقد نشأ نشأة كريمة طيبة فى حضن أبوين لهما الكرامة والعز فى قومهما، وكان عزيز المكانة فى قومه[2].

- صفته الخَلقية

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها: «أبيض.. نحيف.. خفيف العارضين.. أحنى الظهر.. معروق الوجه[3].. غائر العينين[4].. ناتئ الجبهة.. عارى الأشجاع[5].. أقنى[6] يخضب لحيته، وشيبته بالحناء والكتم[7].

- العلم بالأنساب

فهو عالم من علماء الأنساب وأخبار العرب، وله فى ذلك باع طويل جعله أستاذ الكثير من النَّسابين كعقيل بن أبى طالب وغيره، وكانت له مزية حببته إلى قلوب العرب وهي: أنه لم يكن يعيب الأنساب، ولا يذكر المسالب بخلاف غيره، فقد كان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها، وبما فيها من خير وشر[8] وفى هذا تروى عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها»**[9].

- تجارته

كان فى الجاهلية تاجرًا، ودخل بُصرى من أرض الشام للتجارة، وارتحل بين البلدان، وكان رأس ماله أربعين ألف درهم، وكان ينفق من ماله بسخاء وكرم عُرف به فى الجاهلية[10].

* * *

---

(1) سيرة وحياة الصديق تاريخ الخلفاء ص(٥٦).
(2) تاريخ الدعوة إلى الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين ص(٣٠).
(3) معروق: هو قليل اللحم.
(4) غائر العينين: دخلت فى الرأس.
(5) الأشجاع: مفاصل الأصابع.
(6) أقنى: حفظ حياءه ولزمه.
(7) البخاري: (٥٨٩٥)، ومسلم (٢٣٤١).
(8) الإصابة: (٤/ ١٤٦).
(9) مسلم (٢٤٩٠)، والطبرانى فى الكبير رقم (٣٥٨٢).
(10) أبو بكر الصديق – على الطنطاوى ص(٦٦).

لَيبلُغَنَّ الكتاب أجَلَه..

مكة..

البلد الحرام الذى تتوسطه الكعبة، موطن القداسات منذ رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل..

أهلها عاكفون على عقائد وتقاليد تسمو أحيانًا.. وتُسفه أحيانًا حتى تبعث على السخرية والرثاء..!!

وحول الكعبة أصنام مبثوثة، تطفلت فى غفلة الزمن على هذا الحرم الأقدس الذى ظل قرونًا ولبث أحقابًا يمثل راية الله المرفوعة فى الأرض، تُنادى أهل الحنيفية والتوحيد..

هى كذلك ظلت دهرًا طويلاً حتى جُلبت إليها الأصنام ذات يوم، وازدحمت حولها مع الأيام، حيث صارت مهوى أفئدة قريش وما حولها .. يعبدها الناس ويتّقونها، ويتملقونها، لتقربهم إلى الله زُلفى..!! فهنا اللّات، والعُزّى، ومَناة.. وهناك، أُساف، ونائِلة، وهُبَل.. وعشرات من الأوثان والأصنام..

وإن مواكب العابدين لتسعى ليل نهار إلى تلك الآلهة المجلوبة، والمنحوتة.. الآلهة التى لا تسمع، ولا تُبصر، ولا تُغنى عن أحد شيئًا..!!

لكل قبيلة إلاهها، وصنمُها.

وكل طفل يولد، لا يلبث حين يدرك الحبْو، حتى يُقاد إلى ربه ليعرفه، وليسعى إليه فيما بعد ويبثه أمله ونجواه..!!

ومع عبادة الأصنام التى سادت مكة، كان هناك صنوف أخرى من العُبّاد فى أنحاء الجزيرة العربية.

فكان هناك من يعبدون الشمس، مما جعل الرسول عليه السلام حين بُعث وفُرضت عليه الصلاة، ينهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب، حتى لا يكون ذلك مُحاكاة –ولو غير مقصودة– للذين يعبدونها ويخرون لها ساجدين لحظة الشروق ولحظة الغروب..

وكان هناك من يعبدون الملائكة.. ومن يعبدون الجن..

وكان منهم عبدة الكواكب..

وكان هناك الدهريون الذين روى القرآن فيما بعد عن قولهم: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾.

أين مِلة إبراهيم وسط هذا الزحام..؟؟

هل ضاعت الحنيفية المؤمنة الموحدة، وسط الوثنية الطارئة والشرك الزاحف كلا.

لقد كان هناك عبر السنين هُداة يبزغون بين الحين والحين، يُلوحون براية إبراهيم، ويرفعون أصواتهم داحضين الشرك والزيغ..

منهم من سبق الرسول بمئات السنين، ومنهم من كان إرهاصًا بين يدى فجره الطالع القريب..

من الأولين، سُويد بن عامر المصطلقى – جهر بعقيدة البعث ويوم الجزاء – وعامر بن الظِّرب الذى كان يقول لقومه: «إنى ما رأيتُ شيئًا قط خلق نفسه.. ولا رأيت موضوعًا إلا مصنوعًا.. ولا جائيًا إلا ذاهبًا.. ولو كان الذى يُميت الناس الداء لكان الذى يحييهم الدواء..؟!!».

وكان هناك الملتمس الكِنانى.. وزهير بن أبى سلمى، وغيرهم لم يكن معهم سوى هذا الحنين إلى الحق.. لم يرزق أحدهم المنهج الكامل الذى يمكن أن يدعو الناس إليه.. وكانوا يبزغون، الواحد تلو الآخر عبر السنين الطوال.

أما الذين ظهروا قبيل بعثة الرسول، فعلى الرغم من أنهم كانوا مثل سلفهم بغير منهج واضح مُفَصّل، فإن رؤياهم عن الحقيقة الروحية كانت أكثر بيانًا.

من هؤلاء: أبو قيس بن أنس اعتزل قريشًا وأصنامها، واتخذ له فى بيته مسجدًا وقال: أعبد رب إبراهيم..

وقد عاش حتى بُعث النبى ﷺ فأسلم معه..

وكان هناك ثلاثة انعقدت أواصر قلوبهم على دين إبراهيم!! هم: قُسّ بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نُفيل .. وورقة بن نوفل، كانوا يُؤذنون بالدين المقبل الذى سيعيد راية الله إلى مكانها ويُسوى بالأصنام التراب..!!

وإلى هؤلاء جلس أبو بكر طويلاً. ولكلماتهم المؤمنة ألقى سمعه، وأبصرت روحه الطاهرة موكب النبوة القادم، فجلس ينتظر، ويُعد نفسه لأيام الهُدى واليقين.!

ويتذكر أبو بكر مقولة قُسّ بن ساعدة، وهو فى سوق عكاظ يقول: «يا أيها الناس: اسمعوا وَعُوا، وإذا وعيتم فانتفعوا. إن من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آت.. إن فى السماء لخبرًا، وإن فى الأرض لعِبَرًا،..مِهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لن تغور. ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج.

يُقسم قسّ، إن لله لدينًا هو أحب إليه من دينكم الذى أنتم عليه..

ما لى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون.. أرضوا بالمقام فأقاموا..؟ أم تُركوا فناموا..؟»

هكذا كان أبو بكر يحفظ لهذا النفر الصالح ويتلقى عنهم..

وهكذا كانت روحه عاكفة على ما يبثونه من حكمة.. وجلس يتذكر زيد بن عمرو بن نفيل، وهو مسندًا ظهره إلى الكعبة ويقول مناديًا الناس: «إنى اتبعت ملة إبراهيم وإسماعيل من بعده.. وإنى لأنتظر نبيًّا من ولد إسماعيل، ما أرانى أدركه..»

لقد مات قس بن ساعدة دون أن يعرف من هو النبى.

أما ورقة، فإنه عاكف على الأناجيل يتلوها ويدرسها عساها تدله.

وجلس أبو بكر يتذكر مشهد قس بن ساعدة، وهو قائم بين الناس يقول:

«يُقسم قُس بربه ليبلغنّ الكتاب أجله...».

وودع أبو بكر ذكرياته وهو يتمتم فى يقين قائلًا:

صـدق ابـن ســاعـدة... ليبلغن الكتاب أجله..!!

وتمضى الأيام، ويصير أبو بكر حتى يأتى الله بأمره. ويُقبل على تجارته ويشد رحاله إلى الشام وفيها يجد مُناخًا روحيًّا شبيهًا بمناخ قومه.. أديان شتى، وناس تائهون، وقلة مؤمنة تقلب وجوهها فى السماء راجية منها اليقين.

والآن، وقد أنجز أعماله فى الشام فإنه يتهيأ للعودة إلى وطنه وبلاده.. وقبيل رحيله بأيام قليلة يرى رؤيا.

يرى القمر قد غادر مكانه فى الأفق الأعلى، ونزل على مكة حيث تجزأ إلى قطع وأجزاء تفرقت على جميع منازل مكة، وبيوتها، ثم تضامت هذه الأجزاء مرة أخرى، وعاد القمر إلى كيانه الأول، واستقر فى حجر أبى بكر..!!

صحا من نومه، وسارع إلى أحد الرهبان المتقين الذين ألفهم، وقص عليه الرؤيا، فتهلل وجه الراهب الصالح وقال لأبى بكر:

لقد أهلت أيامه..!!

ويتساءل أبو بكر: من تعنى..؟ النبى الذى ننتظر..؟؟

ويجيبه الراهب: نعم، وستؤمن معه، وستكون أسعد الناس به..!!

ومع الصباح شد أبو بكر رحاله مع القافلة العائدة إلى مكة، ولدى مدخل مكة قابلتهم جماعة يتقدمها أبو جهل – عمرو بن هشام- وبدأ أبو جهل الحديث:

أوحدثوك عن صاحبك يا عتيق .. وكان أبو بكر يسمى عتيق فى الجاهلية.

أجابه أبو بكر: تعنى محمدًا الأمين..

قال أبو جهل: نعم، أعنى يتيم بنى عبد المطلب..!!

ودار حوار سريع بين الاثنين: أسمعت أنت ما يقول يا عمرو بن هشام..؟؟

نعم سمعته، وسمعه الناس جميعًا..

وماذا قال..؟

يقول إن فى السماء إلاهًا، أرسله إلينا لنعبده ونذر ما كان يعبد آباؤنا..!!

أو قال إن الله أوحى إليه..؟؟

آجل..

ألم يقل كيف كلمه ربه..؟؟

قال: إن جبريل أتاه فى غار حراء..

وتألق وجه أبى بكر وقال فى هدوء: إن كان قال، فقد صدق...!!!

وذهب إلى الرسول ﷺ، وقرع الباب، ونادى: وسارع الرسول إلى لقاء صاحبه. وجرى الحديث بينهما فى مثل سرعة الضوء.

قال أبو بكر: أصحيح ما أنبأنبى به القوم؟

أجاب الرسول سائلاً: «وماذا أنبئوك..»

قالوا إن الله أرسلك إلينا لنعبده، ولا نشرك به شيئًا.

«وماذا كان جوابك لهم يا عتيق..؟»

قلت لهم: إن كان قال، فقد صدق..!!

وفاضت عينا الرسول من الدمع غبطةً وشكرًا.

وعانق صاحبه وقبل جبينه، ومضى يحدثه كيف جاءه الوحى فى غار حراء.

ثم رفع أبو بكر رأسه، وشد بكلتا يديه على يمين رسول الله وقال: أشهد أنك صادق أمين..

أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أنك رسول الله

هكذا أسلم أبو بكر فى هدوء ويقين، وقوة..

وسيظل حاملاً رايته فى هدوء، ويقين، وقوة..

أسلم الرجل الذى وإن لم يكن نبيًّا، فإنه سيكمل دَوْرَ النبى.. وبإسلام أبى بكر عم السرور قلب النبى ﷺ.

لقد كان أبو بكر كنزًا من الكنوز ادخره الله تعالى لنبيه، كان من أحب قريش لقريش، فذلك الخُلق السمح الذى وهبه الله تعالى إياه جعله من الموطئين أكنافًا، من الذين يألفُون ويُؤلفُون..

قال عنه رسول الله ﷺ: «أرحم أمتى بأمتى أبو بكر»[1].

- دعوته:

أسلم الصديق ﷺ، وحمل الدعوة مع رسول الله ﷺ، وتعلم من رسول الله، أن

---

(1) الألبانى فى صحيح الجامع الصغير (٢/ ٨ ج٣).

الإسلام دين العمل والدعوة والجهاد، وأن الإيمان لا يكمل حتى يهب المسلم نفسه وما يملك لله رب العالمين: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وقد كان الصديق كثير الحركة للدعوة الجديدة، وكثير البركة أينما تحرك أثر وحقق مكاسب عظيمة للإسلام.

كانت أول ثمار الصديق الدعوية دخول صفوة من خيرة الخلق فى الإسلام وهم: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبى وقاص، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبى الأرقم.

جاء بهؤلاء الصحابة الكرام فرادى فأسلموا بين يدى رسول الله ﷺ، فكانوا الدعامات الأولى التى قام عليها صرح الدعوة، وكان كل من هؤلاء الطلائع داعية إلى الإسلام، وأقبل معهم رعيل السابقين.

- ابتلاؤه

لقد أوذى أبو بكر ﷺ وحثى على رأسه التراب وضرب فى المسجد الحرام بالنعال حتى ما يعرف وجهه من أنفه وحُمل إلى بيته فى ثوبه وهو ما بين الحياة والموت.

إن الصديق ﷺ أول من أوذى فى سبيل الله بعد رسول الله ﷺ وأول من دافع عن رسول الله، وأول من دعا إلى الله، وكان الذراع الأيمن لرسول الله ﷺ.

- إنفاقه الأموال لتحرير المعذبين فى الله:

تضاعف أذى المشركين لرسول الله ﷺ، ولأصحابه مع انتشار الدعوة حتى وصل ذروة العنف فى معاملة المستضعفين من المسلمين مثل: بلال بن رباح، الذى كان يُعذبه أمية بن خلف، فاشتراه أبو بكر، وأعتقه واستمر الصديق فى سياسة فك رقاب المسلمين المعذبين من الإيماء والمملوكين من المؤمنين والمؤمنات، منهم عامر بن فهيرة، وأم عبيس وزِنِّيرة، وأعتق النهدية وبنتها وغيرهم.

لقد أنفق جزءًا كبيرًا من ماله فى شراء العبيد، وعتقهم لله، وفى الله.

* * *

هجرته مع رسول الله ﷺ إلى المدينة

- فقه النبى ﷺ والصديق فى التخطيط والأخذ بالأسباب:

إن من تأمل حادثة الهجرة رأى دقة التخطيط فيها ودقة الأخذ بالأسباب، ورأى أن التخطيط جزء من السنة النبوية وهو جزء من التكليف الإلهى فى كل ما طولب به المسلم.

ولهذا نرى أن كل أمر من أمور الهجرة كان مدروسًا، فمثلاً:

١- جاء النبى ﷺ إلى بيت أبى بكر فى وقت شدة الحر -الوقت الذى لا يخرج فيه أحد.

٢- جاء إلى بيت الصديق متلثمًا لإخفاء شخصيته.

٣- أمر ﷺ أبا بكر أن يخرج من عنده، ولما تكلم لم يبين إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.

٤- كان الخروج ليلاً ومن باب خلفى فى بيت أبى بكر.

٥- بلغ الاحتياط مداه، باتخاذ طرق غير مألوفة للقوم.

- جندية الصديق الرفيعة وبكاؤه من الفرح:

تظهر أثر التربية النبوية فى جندية أبى بكر الصديق ﷺ، فأبو بكر عندما أراد أن يهاجر إلى المدينة وقال له رسول الله ﷺ: «**لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبًا**» فقد بدأ فى الإعداد والتخطيط: (فابتاع راحلتين واحتبسهما فى داره يعلفهما إعدادًا لذلك) وفى رواية البخاري: وعلف راحلتين كانتا عنده أربعة أشهر). لقد كان يدرك بثاقب بصره ﷺ وهو الذى تربى ليكون قائدًا، أن لحظة الهجرة صعبة قد تأتى فجأة ولذلك هيأ وسيلة الهجرة، ورتب تموينها، وسخر أسرته لخدمة النبى ﷺ وعندما جاء رسول الله ﷺ، وأخبره أن الله قد أذن له فى الخروج والهجرة، بكى من شدة الفرح، وقال: الصحبة يا رسول الله فيجيبه الرسول: «**الصحبة يا أبا بكر..**».

وهجرة الرسول ليست نزهة، ولا مجرد هجرة، إنما هى مخاطرة مهولة ومطاردة فادحة..

وأبو بكر يعرف هذا جيدًا.. فما باله يتهلل لهذه الصحبة، ويحرص عليها ويطير قلبه فرحًا بها..؟

إنه الإيمان..!!

- فى الغار:

فحين أوى مع الرسول ﷺ إلى الغار، واقترب المطاردون من الغار وراحوا يطوفون حوله..

قال أبو بكر: يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلينا لرآنا فقال له النبى ﷺ: **«لا تحزن إن الله معنا»**، **«ما ظنك باثنين، الله ثالثهما»** وسكن أبو بكر، ورأى المطاردين، يُطوّفون بالغار فى خبال ثم يرتدون عنده حيارى وعُميانًا، لم ينالوا شيئًا..!!

يومئذ تم له إيمانه، واستوى على عرش اليقين يقينه.

- فى غزوة بدر الكبرى:

شارك الصديق فى غزوة بدر وكانت فى العام الثانى من الهجرة.

- مشورة الحرب:

لما بلغ النبى ﷺ تجاه القافلة وإصرار زعماء مكة على قتال النبى ﷺ، استشار رسول الله ﷺ أصحابه فى الأمر فقام أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن، لقد ذكر أهل العلم أن أبا بكر شهد مع النبى ﷺ بدرًا، والمشاهد كلَّها ولم يفته منها مشهدٌ، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحد حين انهزم الناس، ودفع إليه النبى ﷺ رايته العظمى يوم تبوك وكانت سوداء[1].

وقيل: إن أبا بكر ﷺ كان مضافًا لرسول الله ﷺ إلى الأبد فإنه صحبه صغيرًا وأنفق عليه ماله كبيرًا، وحمله إلى المدينة براحلته وزاده، ولم يزل ينفق من ماله وحياته، وزوَّجه ابنته، ولم يزل ملازمًا له سفرًا وحضرًا.

- موقفه من صلح الحديبية:

لما توصل المشركون مع رسول الله ﷺ، إلى الصلح بقيادة سُهيل بن عمرو، أصغى الصديق إلى ما وافق عليه رسول الله ﷺ من طلب المشركين، رغم ما قد يظهر للمرء أن

---

(1) الطبقات الكبرى (١/ ١٢٤)، صفوة الصفوة (١/ ٢٤٢).

فى هذا الصلح بعض التجاوز أو الإجحاف بالمسلمين، لكنه سار على هدى النبى ﷺ ليقينه بأنه لا ينطق عن الهوى، وأنه فعل ذلك لشيء أطلعه الله عليه[1].

- الصديق أمير الحج سنة ٩هـ:

إن فريضة الحج لم تمارس إلا بعد فتح مكة أي: فى عام ٨هـ وكُلف بها عتَاب ابن أسيد، ولم تكن قد تميزت حجة المسلمين عن حجة المشركين، فلما حل موسم الحج فى العام التالى أى سنة ٩ هـ أراد النبى ﷺ الحج ولكنه قال: «**إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك**» فأرسل النبى ﷺ الصديق أميرًا على الحج سنة تسع هجرية فخرج أبو بكر الصديق يركب الحجيج فنزلت سورة «براءة» فدعا النبى ﷺ، عليًّا ﷺ وأمره أن يلحق بأبى بكر، فخرج على ناقة رسول الله ﷺ العضباء، حتى أدرك الصديق بذى حُلَيْفَة فلما رآه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور.

وقد خطب الصديق قبل التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم النفر الأول فكان يُعرّف الناس مناسكهم فى وقوفهم وإفاضتهم، ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات .. إلخ.

وعلى بن أبى طالب يخلفه فى كل موقف من هذه المواقف فيقرأ على الناس صدر سورة براءة، ثم ينادى فى الناس بهذه الأمور الأربعة: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج بعد العام مشرك»[2].

وقد أمر الصديق أبا هريرة فى رهط آخر من الصحابة لمساعدة على بن أبى طالب فى إنجاز مهمته[3].

وقد كانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجة الكبرى وهى حجة الوداع سنة ١٠ هـ لقد أعلن فى حجة أبى بكر أن عهد الأصنام قد انقضى وأن مرحلة جديدة قد بدأت، وما على الناس إلى أن يستجيبوا لشرع الله تعالى، فبعد هذا الإعلان الذى انتشر بين قبائل العرب فى الجزيرة، أيقنت تلك القبائل أن الأمر جد، وأن عهد الوثنية قد انقضى، فأخذت ترسل وفودها معلنة إسلامها ودخولها فى التوحيد.

---

(1) تاريخ الدعوة إلى الإسلام (ص١٣٨).

(2) صحيح السيرة النبوية ص(٦٢٥).

(3) السيرة النبوية لأبى شيبة (٢/ ٥٣٧).

- موقف أبى بكر يوم وفاة الرسول ﷺ:

من شاء أن يرى إيمان أبى بكر فى أحفل ساعاته..

من شاء أن يرى الإيمان العُلوى الموصول بقيّوم السماوات والأرض فلْير هذا الإيمان يوم دُعى الرسول ﷺ، إلى الرفيق الأعلى فأجاب ورحل عن الحياة والأحياء.

ولندع شاهد عيان يصف لنا ثبات أبى بكر عند الصدمة الأولى «أقبل أبو بكر، فلم يلتفت إلى شيء، ودخل على الرسول ﷺ وهو مُسَجَّى فى ناحية البيت، عليه بُرْد حبرة، فكشف عن وجهه ثم قبله وقال: «بأبى أنت وأمى، طبت حيًّا وميتًا؛ إن الموتة التى كتبها الله عليك قد مِتّها..»

ثم ردّ الثوب على وجه الرسول..

ثم خرج، وعمر بن الخطاب يكلم الناس، فدعاه للسكوت، فأبى عمر إلا أن يسترسل فى قوله..

فلما رآه لا ينصت، أقبل على الناس يكلمهم..

«أيها الناس..

من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات..

ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت..»

ثم تلا هذه الآية:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

فوالله لكأن الناس يسمعون هذه الآية لأول مرة أما عمر، فقد وقع على الأرض، حين علم من كلمات أبى بكر أنه الموت حقًّا..!!

إن أقصى ما كان يُنتظر أن يُفيئه الجَلَد والسكينة، كلمات توصى بالصبر وتمنح العزاء.

ولكن البديهة المؤمنة التى تشبه عين الصقر، وقعت فى أقل من لمح البصر على كلمة السر التى سترد الهمم المنسحقة تحت وطأة الفاجعة إلى وعى قدير يستقبل تبعاته الجسام ويعبر أزمة الموت بسلام..!!

ولم تكن كلمة السر سوى هذه الصيحة الحاسمة الفاصلة: «الله حى لا يموت».

إذن، يا خيل الله اركبى.. ويا راية الله ارتفعى.. ويا حملة هذه الراية، قوموا.. انهضوا.. واصلوا رحلة الشمس المشرقة والدين الجديد..!!

هذا هو موقف «الصديق» يوم وفاة الرسول، كان بمثابة «البوصلة» التى حددت اتجاه التاريخ نحو الرجل الذى سيملأ الفراغ الكبير الذى تركه رسول الله ﷺ برحيله.

- موقفه يوم السقيفة «سقيفة بنى ساعدة»:

فعلى أثر وفاة الرسول ﷺ اجتمع نفر كبير من الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا «سعد بن عُبادة».

وعلم أبو بكر فذهب إلى السقيفة ومعه عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح.

لم يسارع أبو بكر ليحتجز الخلافة لنفسه، وإنما سارع ليكف الفتنة أولًا، ثم ليكبح جماح الطائفية، حيث وقف من يقول: يا للأنصار، ومن يقول: يا للمهاجرين..

وهناك عند السقيفة بدأ الحديث:

«يا معشر الأنصار، إنكم لا تذكرون فضلاً إلا وأنتم له أهل» هكذا بدأ الصديق قوله.. ثم راح الحديث ينساب من قلبه ومضى يُدلى برأيه فيمن يُرشح للخلافة قائلاً:

«إنه واحد من اثنين.. عمر بن الخطاب.. الرجل الذى أعز الله الإسلام به وأبو عُبيدة بن الجراح.. الذى وصفه الرسول بأنه أمين هذه الأمة»

واقترب منهما أبو بكر وتوسطهما ورفع ذراعيهما بكلتا يديه وقال: «لقد رضيت أحد هذين الرجلين، عمر، وأبى عبيدة..».

وصاح عمر: «والله لأن أُقدّم فيُضرب عُنقى فى غير إثم، أحبُ إلى من أن أُؤَمَّر على قوم فيهم أبو بكر..!!»

فما كاد عمر يلقى بكلمته هذه ويتقدم باسطًا يمينه، مُبايعًا أبا بكر .. حتى ازدحم الأنصار على البيعة وكأنما دعاهم من السماء داعٍ.

- موقفه من بعث أسامة بن زيد:

قبل وفاة النبى ﷺ كان قد أعدّ جيشًا تحت إمْرة أسامة بن زيد وجهته الشام.. وكان الجيش يوم وفاة النبى ﷺ مُعسكرًا على بعد ثلاثة أميال من المدينة يتهيأ للسير إلى فلسطين

لكى يدعو الرومان إلى الإسلام، وانشغل المسلمون بوفاة النبى ﷺ، وتأجل زحف الجيش، ثم بعد ذلك اختلف الرأى فى أمره، فرأى فريق من المسلمين وعلى رأسهم عمر بن الخطاب أن بعث جيش أسامة إلى الشام مخاطرة رهيبة فى الوقت الذى أصبحت المدينة نفسها عاصمة الإسلام مهددة بغزو المرتدين، ورأوا ضرورة عودة الجيش إلى المدينة ليكون فى مواجهة الأحداث الجديدة الزاحفة وكان أسامة نفسه من أصحاب هذا الرأى.

ولكن أبا بكر يستمد منطقه من إيمانه .. وكل قضية عنده تتسع للاجتهاد إلا قضية أبرم الله فيها حكمًا، أو أصدر الرسول فيها أمرًا.. ولقد أمر الرسول ﷺ قبيل وفاته أن ينفذ بعث أسامة، فليكن ما أمر الرسول به، مهما تكن الأخطار وهكذا كان جواب أبى بكر للناس:

«أنفذوا بعث أسامة، فوالله لو خطفتنى الذئاب لأنفذته كما أمر رسول الله، وما كنت لأَرُدّ قضاء قضاه..».

وعاد بعض المسلمين وعلى رأسهم عمر بن الخطاب يطلبون من أبى بكر أن يجعل على رأس الجيش قائدًا غير أسامة الذى كان فتى صغير السن محدود الخبرة ولا سيما أن فى هذا الجيش شيوخ الصحابة وأجلّاءهم.

ولندع شاهد عيان يصف لنا المشهد فيقول:

وثب أبو بكر من مكانه وأخذ بلحية عمر، وقال: «ويحك يا ابن الخطاب أيوليه رسول الله، وتأمرنى أن أعزِلَه؟؟!!» وقصة أسامة بالذات تجلّى صدق هذا اليقين.

فإصرار أبى بكر على إنفاذ بعث أسامة لم يُفنِ عليه مثوبة الطاعة فحسب، بل أفاء عليه الرشد والمنهج الصواب..

فهناك صوب الشمال كانت الفتنة قد شرعت فى الظهور، ولكن لم تكد القبائل التى مرّ بها جيش أسامة وهو فى طريقه إلى الشام. لم تكد تُبصر هذا الجيش حتى عاد إليها صوابها وقال بعضهم لبعض: والله لو كانت المدينة تئن تحت وطأة الضعف والخلاف كما سمعنا، ما كان بوسعها أن تبعث هذا الجيش فى هذه الأيام لتقاتل الروم.

وهكذا كان مجرد تحرك الجيش إلى غايته مُثبطًا لكثير من القبائل التى كانت فتنة الرِّدة تتسلل إليها..!!

بداية خلافة أبى بكر الصديق

ولنبدأ باللحظات الأولى من خلافته.

ها هو ذا ينقل خُطاه فى حياء ووجل، مُيممًا وجهه شطر منبر رسول الله ﷺ.

إنه ليصعد درجتين ثم يجلس فهو لا يُبيح لنفسه أن يجلس حيث كان الرسول يجلس..

وها هو ذا يستقبل الجمع الحاشد يتلو على الناس موثقه وعهده.

«أيها الناس..

إنى وليت عليكم، ولست بخيركم..

إن أحسنت فأعينونى..

وإن أسأت فقومونى..

ألا إن الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له..

ألا إن القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه..

أطيعونى ما أطعتُ الله ورسوله..

فإذا عصيت فلا طاعة لى عليكم»..!!

أى صدق.. وأى روعة؟!

رجل له كل هذه المزايا وسط هذه الجماعة المؤمنة، ثم يبدأ خلافته داعيًا الناس فى إصرار عظيم، كى يأخذوا مكانهم إلى جواره.. لهم الحقوق نفسها، وعليهم الواجبات نفسها..!!

أجل.. لقد كان عظيمًا -أى عظيم- وهو يُعلم الناس بقوله وسلوكه أنه لا يفضلهم فى شيء، وأنه فى حاجة دائمة ومُلحة إلى ما معهم من فضل.

ولقد تقبل الخليفة منصب الخلافة، غير راغب فيه، ولا حريص عليه ولولا أنها التبعات الفاصلة فى الأيام الحاسمة لأوى إلى ركن بعيد، وتهرب من ذلك الذى يُسارع الناس إليه، ولقد كان صادقًا حين قال:

«والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة.. ولا سألتها الله فى سرٍّ ولا علانية».

- **فتنة الردة**...

ونعود إلى الصديق وهو يواجه الرِّدة.. بإيمانه الصلب

لقد كان عبد الله بن مسعود يُبسّط الحقيقة الكبرى فى قوله: «لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ، مقامًا كدنا نهلك فيه، لولا أن منّ الله علينا بأبى بكر»..

أجل، لقد كان «أبو بكر» يومئذ نعمة الله ومثوبته للدين، وللناس، فقد اشتعلت الأرض نارًا فى الجهات النائية من المدينة والتى كان معظم أهلها حديثى عهد بالإسلام، ولم يكونوا يتصورون بفطرتهم الساذجة أن رسول الله يموت كما يموت الناس وهكذا بهذه السرعة..!!

لقد سقط هؤلاء تحت صياح الكاذبين المهَرة الذين كانوا يتربصون بالإسلام كل سوء.

لقد انشقت الأرض فجأة عن أنبياء كَذَبة، وقف طلحة الأسْدى يعلن نبوّة كاذبة، وتبعه الكثيرون من قبائل أسد وغطفان وطيء، وعبْس، وذبيان..

ثم اشتعلت نيران الرِّدة فى بنى عامر، وهوازن، وسُليم ثم شبت فى بنى تميم، وجاءتهم المرأة «سجاح» تزعق فيهم بنبوتها الضالة المُهرجة..!!

ثم تمرد أهل اليمامة رافعين لواء أخطر مُدعى النبوة جميعًا مسيلمة الكذاب.

وهكذا، بعد أن كان أبو بكر يُواجه فُلولًا صغيرة، أصبح أمام جيوش قوامها عشرات الألوف من المقاتلين ولكن لله مِن خَلقه رجال تتحول المحن بين أيديهم إلى مِنَح وأبو بكر، من هؤلاء الرجال..!!

فقد أرسل بأسه العادل على المتمردين فى كل مكان، وانتصرت جيوشه على تلك المعاقل.. ثم تعقبت المصادر الخفية المحركة للفتنة .. هناك فى الشام والعراق، حيث كانت الروم والفرس تتخذان منهما مراكز وُثُوب وأوكار مُؤامرة هناك فى الشام وفى العراق، وفى دومة الجندل، وجدت جيوش الإسلام قومًا عِطاشًا إلى الهُدى والعدل والأمن..

أين المرتدون الذين حملوا السلاح ليقضوا على الدين الجديد..؟؟ أين مُسيلمة، وطلحة، وسجاح بجيوشهم الجرارة..؟؟

لقد تمزقوا بددًا كبقايا زوبعة ضالة، وولوا أمام الحق.

- مانعو الزكاة:

فى البلاد البعيدة من المدينة كان أكثر المسلمين حديثى عهد بالإسلام وكان الدين مرتبطًا فى وجدانهم ارتباطًا كاملاً بصاحبه وبرسوله. فلما مات الرسول، قام فيهم مِن رؤسائهم من استغل حداثة إسلامهم، فساروا وراء مرتدين.

والحق أنها لم تكن أول الأمر رِدّة كاملة عن الدين، إنما كانت إضرابًا عن دفع الزكاة..

لكن أبا بكر رآها رِدّة، ورأى أن يقاتلهم إذا امتنعوا عن دفع الزكاة، ويومئذ ظهر رأيان.

١- رأى يرى ألا يقاتل هؤلاء، ما داموا لم يقترفوا سوى امتناعهم عن دفع الزكاة، وعلى رأس هذا الفريق، عمر بن الخطاب.

٢- ورأى آخر يرى أن الزكاة – أولاً – ركن من الدين ليس للخليفة أن يدع الناس يهدمونه، ويرى ثانيًا- أن الامتناع عن أدائها ليس سوى البداية وليس سوى حركة استطلاع يتوالى بعدها التمرد والقضاء على الإسلام. وكان هذا رأى أبى بكر وقال: «والله لو منعونى عقال بعير كانوا يعطونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه بالسيف....!!»

أما «عمر» فيقف من الأزمة موقفًا مغايرًا ويوجه إلى الخليفة هذا السؤال:

«كيف تقاتل قومًا يشهدون أن لا إله إلا الله، وقد أخبر الرسول أن من قالها فقد عصم دمه وماله؟».

ويُجيبه أبو بكر سائلاً: ألم يقل الرسول «**إلا بحقها**»...؟ «ألا إن الزكاة من حقها...».

هذا مع ملاحظة أن الذين امتنعوا عن دفع الضريبة وحملوا السلاح لم يظلوا فى مكانهم فى ديارهم مكتفين بموقف الدفاع إذا هوجموا، بل نادى بعضهم بعضًا ليزحفوا على المدينة.....

وهو بهذا يحمل كل مسؤوليته عن الدين، فلا يسمح بأن يتغير على عهده شيء من شرع الله وسنة رسوله، وكل فريضة، توفى الرسول وهى قائمة، لابد أن تظل قائمة مهما تكن التضحية.

- جمع القرآن الكريم:

كان من ضمن شهداء المسلمين فى حرب اليمامة كثير من حفظة القرآن، ولذلك قام أبو بكر الصديق ﷺ بمشورة عمر بن الخطاب ﷺ بجمع القرآن فأسند الصديق هذا العمل العظيم إلى الصحابى الجليل زيد بن ثابت الأنصارى ﷺ الذى كان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ، يقول زيد: فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل على مما كلفنى به من جمع القرآن، فتتبعت القرآن من العسب[1]، واللخاف[2]، وصدور الرجال، والرقاع[3]، والأكتاف[4].

قال: حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره. وكانت الصحف عند أبى بكر حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر بن الخطاب حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر ﷺ لقد كتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ، من غير أن قدموا شيئًا أو أخروا، أو وضعوا له ترتيبًا لم يأخذوه من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يُلقِّن أصحابه، ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام، إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى السور التى يذكر فيها كذا.

وهكذا يتضح أن من أوليات أبى بكر الصديق ﷺ: أنه أول من جمع القرآن الكريم، وقد اختار زيد بن ثابت لهذه المهمة لأنه رأى فيه المقومات الأساسية للقيام بها وهي: أنه شاب كان عمره ٢١ سنة كان أكثر تأهيلاً، كان ثقة، كان كاتبًا للوحى.

قال أنس بن مالك: جمع القرآن على عهد النبى ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أُبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد[5].

* * *

(1) العسب: هو جريد النخل.
(2) اللخاف: جمع لخفة: وهى صفائح الحجارة.
(3) الرقاع: وهى قطع الجلود.
(4) الأكتاف: جمع كتف، وهو العظم الذى للبعير أو الشاة.
(5) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣١).

- فتوحات الصديق:

- خطة الصديق لفتح العراق:

لما انتهت حروب الرّدة واستقرت الأمور فى الجزيرة العربية، شرع الصديق فى تنفيذ خطة الفتوحات التى وضع معالمها رسول الله ﷺ، فجيّش لفتح العراق جيشين:

١- جيش بقيادة خالد بن الوليد وكان يومئذ باليمامة فكتب إليه يأمره بأن يغزو العراق من جنوبه الغربى وقال له: سر إلى العراق حتى تدخلها، وابدأ (بفرج الهند) أي: ثغرها. وهى الأُبلّة وأمره بأن يأتى العراق من أعاليها، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله - عز وجل- فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وشرع فى تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمدادًا لخالد ﷺ[1].

٢- جيش بقيادة عياض بن غنْم، وكان بين النباح[2] والحجاز فكتب إليه بأن يغزو العراق من شماله الشرقى وقال له: سر حتى المعيخ[3] وابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها حتى تلقى خالدًا، ثم أردف أمره هذا بقوله: وائذن لمن شاء بالرجوع، ولا تجبر أحدًا على السير معكما للقتال إكراها، فمن شاء فليتقدم ومن شاء فليُحْجم.

إن الأوامر التى وجهها الصديق إلى قادة فاتحًا العراق (خالد وعياض) تشير إلى الحس الاستراتيجى الذى كان يملكه الصديق، فقد حدد لكل من القائدين جغرافيًّا، منطقة للدخول إلى العراق، كأنما هو يمارس القيادة من غرفة العمليات بالحجاز.

- فتح الشام:

عزم الصديق على فتح الشام فاستشار كبار الصحابة ثم استنفر أهل اليمن للجهاد وعقد الألوية للقادة أرسل أربعة جيوش لبلاد الشام، وقادة الجيوش هم: يزيد بن أبى سفيان، وأبو عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة.

كانت الجيوش المكلفة بفتح الشام تلاقى صعوبة فى تنفيذ المهمات الموكلة إليها، فقد كانت تواجه جيوش الإمبراطورية الرومانية، فراسلوا الصديق وأعلموه بوضعهم الحرج،

---

(1) البداية والنهاية(٦/ ٣٤٧).

(2) قرية تبع البصرة فى منتصف الطريق بين مكة والبصرة.

(3) المعيخ: موضع على حدود الشام مما يلى العراق.

فأمر الصديق الجيوش بالانسحاب إلى اليرموك والتجمع هناك، وأمر خالد بن الوليد بالسير بنصف جيش العراق نحو جبهات الشام وأمره بقيادة الجيوش هناك واستطاع خالد أن يحقق انتصارات عظيمة على جيوش الشام من أهمها معركة أجنادين واليرموك.

- وأهم معالم السياسة الخارجية فى دولة الصديق:

أهمها بذر هيبة الدولة فى نفوس الأمم الأخرى، ومواصلة الجهاد الذى أمر به الرسول ﷺ، العدل بين الأمم المفتوحة والرفق بأهلها، رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة، وإزالة الحواجز البشرية بينهم وبين الإسلام.

- عندما مرض الصديق

عندما نزل المرض بالصديق وأشرف على الموت قام بعدة إجراءات عملية لتتم عملية اختيار الخليفة القادم وهي: استشارة كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وبعد أن تم ترشيح الصدِّيق لعمر بن الخطاب، ووافق معظم الصحابة على ذلك كتب عهدًا مكتوبًا يقرأ على الناس فى المدينة وفى الأمصار، وأخبر عمر ابن الخطاب بخطواته القادمة، وعرفه ما عزم عليه وألزمه بذلك، وأبلغ الناس بلسانه واعيًا مدركًا، وتوجه بالدعاء إلى الله يناجيه ويبثه كوامن نفسه، وكلف عثمان بن عفان أن يتولى قراءة العهد على الناس وأخذ البيعة لعمر قبل موته، وقام بتوجيه الفاروق عندما اختلى به.

- الوفاة:

قالت عائشة رضى الله عنها: أول ما بُدئ مرض أبى بكر أنه اغتسل وكان يومًا باردًا فحُمّ خمسة عشر يومًا، لا يخرج إلى الصلاة، وكان يأمر عمر بالصلاة، توفى يوم الاثنين ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، وقد أوصى أن تُغسله زوجه «أسماء بنت عُميس»، وأن يدفن بجانب رسول الله ﷺ.

خرج أبو بكر الصديق من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم فى سبيل نشر دين الله فى الآفاق، وستظل الحضارة الإنسانية مدينة لهذا الشيخ الجليل الذى حمل لواء دعوة الرسول ﷺ بعد وفاته وحمى غرسه، وقام برعاية بذور العدل والحرية، وحمى الله به دين الإسلام فى ثباته فى الرّدة ونشر الله به الإسلام فى الأمم والدول والشعوب بحركة الفتوحات العظيمة.

هذا هو «الصديق»..!!

لا يرفع الكاتبون من قدره بما يسطرون عنه وعن فضائله إنما يرفعون من أقدار أنفسهم حين يُؤهلونها للحديث عن هذا الطود الشامخ العظيم...

ولقد كان ﷺ أكثر الناس حياءً إذا أُلقيت عليه كلمة ثناء، حين ذاك كان الدمع يُبلل عينيه، ويردد ابتهاله المأثور: «اللهم اجعلنى خيرًا مما يظنون ... واغفر لى ما لا يعلمون .. ولا تؤاخذنى بما يقولون..».

يرحمك الله، أبا بكر إنك دومًا وأبدًا، لخير مما يظنون وخير مما يسطرون..!!

* * *